ثورة أندرونيقوس الرابع باليولوجوس
ضد أبيه عام (١٣٧٦ م)

اعداد

د/ ناهد عمر صالح محمد

مدرس بكلية البنات عين شمس

البحث الخامس
ثورة أندرونيقوس الرابع باليولوجوس عام ١٣٧٦م

قاد أندرونيقوس الرابع باليولوجوس حركتين من العصيان ضد أبيه لم يرق الأول منهم أن يكون ثورة بقدر ما كان تمرداً غير مكتمل وإنتهى بحرمانه مشاركة أبيه في خلافة العرش بينما يعد الثاني ثورة مكتملة الأركان إنتهت بتوليه العرش وحرمانه لأبيه وأخيه من تقلده. وإن كانت ثورة أندرونيقوس قد مكنته من إستعادة حقه في العرض البيزنطي فإنها من ناحية أخرى قد ورطته في الصراع الدائر بين جنوه والبندقية وأجبرته في نهاية الأمر على فقد جزيرة تنيدوس Tenedos المتصارع عليها، وكبدت القسطنطينية خسائر فادحة ومن ناحية أخرى عجلت هذه الثورة بضياع مدينة غاليبولي نهائياً لصالح الأتراك.

Revolution of Andronicus IV Palaeologius
Against his father 1376

Andronicus IV led the two movements of disobedience against his father; the first movement was not a revolution as far as an incomplete rebellion, which ended by depriving him from the participation in the succession of the throne. While the second movement was a complete revolution that ended by the throne and depriving his father and brother.

Although Andronicus's upheaval enabled him to regain his right to the Byzantine throne, it entangled him in the constant conflict between Genoa and Venice.

This revolt did not only force him to lose the feuding island of Tenedos but also suffered heavy losses to Constantinople and accelerated the loss of Gallipoli in favor of the Turks.

اعتلى اندرونيقوس الرابع Andronicus IV العرش البيزنطي عام ١٣٧٦ م إثر ثورة له أطاح فيها بحكم أبيه يوحنا الخامس باليوجوس John V Palaeologus (١٣٥٤ – ١٣٧٦ م). وولي عهده وأخيه الصغير مانويل الثاني Manuell II [١]، وحتى يتسنى لنا الوقوف على حقيقة تلك الثورة ومعرفة أسبابها لابد لنا أن نتطرق إلى طبيعة العلاقة الأسرية الخاصة بنظام خلافة العرش بين الابن وأبيه، والتي لمسنا من خلال ما أشار إليه المؤرخون إنها بدت طبيعية للغاية حيث التزم الأب يوحنا الخامس بتطبيق نظام خلافة العرش حسب التقليد الإمبراطوري المتبع داخل أروقة حكومة الدولة البيزنطية بين أبنائه. فأصدر قراراً إمبراطورياً عام ١٣٦٦ م بتنصيب ابنه الأكبر أندرونيقوس الرابع إمبراطوراً مشاركاً له في الحكم ونائباً[٢]، ما يعطي له الحق أن يكون إمبراطوراً منفرداً على العرش البيزنطي بعد وفاة أبيه.

وقد ظل هذا القرار معمول به داخل حدود الدولة البيزنطية فترة من الوقت بلغت حوالي السبع سنوات من ١٣٦٦ – ١٣٧٣ م تحمل فيها الابن مسئوليته كاملة كإمبراطور مشارك لأبيه ونائب عنه خاصة في الفترة التي قضاها والده خارج البلاد يلتمس فيها المساعدة ضد الأتراك ليتراجع الأب عن قراره هذا ويستبدله بقرار آخر يقضي بحرمان ابنه الأكبر من ولاية العرش وإسنادها إلى ابنه الأصغر مانويل الثاني[٣].

وعلى الرغم من إغفال القرار لأسباب التغير في موقف الإمبراطور يوحنا حيال خليفته على العرش، إلا أنه يبدو من خلال ما أشار إليه المؤرخون أن هناك الكثير من الأسباب التي أثرت على موقفه هذا وجعلته يتراجع عن قراره منها حزنه من خليفته لتقاعسه عن نجدته أثناء احتجازه وأسره على الحدود المجرية البلغارية[٤]، على الرغم من إمكانية مناشدته لحاكم البلغار يوحنا الكسندر

---

(1) Doukas, Decline and Full of Byzantium to Ottoman Turks – Byzantina, An notated Translation of Historia Turco – Byzantina by Harry J Mongoulias Wayne State University Detroit 1975, P 81.

يعتبر أندرونيقوس الرابع هو الابن الأكبر للإمبراطور يوحنا الخامس من زوجته الإمبراطورة هيلينا Helena ابنة الإمبراطور السابق يوحنا السادس كانتا كوزينوس (١٣٤٧ – ١٣٥٤ م). والتي كانت قد تزوجت منه في الثامن والعشرين من مايو عام ١٣٤٧ تعضيداً لانتساب أبيها لعائلة باليولوجوس انظر

Doukas, Decline, P 30.

(2) Nicol, The Last Centuries of Byzantium 1961 – 1453, London 1975, P 276.

اقتصرت ممتلكات الدولة البيزنطية آنذاك على القسطنطينية التي تمثل مثلثاً محصوراً بين بحر مرمرة والبحر الأسود يجمع بين جنباته مستعمرات وأحياء للمدن الإيطالية التجارية التي تمتعت بامتيازات تجارية كثيرة منذ قرون. هذا عدا إقليم صغير في مقدونيا حول سالونيك إضافة إلى جزر بحر الأرخبيل. انظر هايد تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي. ترجمة أحمد رضا محمد رضا. مراجعة عز الدين فودة. القاهرة ١٩٩٤ م، ص ١١٥ – ١١٦.

(3) Doukas, Decline and Full of Byzantium, P 81, Barker (John W.), Manuel 11 Palaeologus 1391 – 1425: A stady in Late Byzantine States Man Ship, Rutgers University Press 1964, P 23.

(٤) تعرض الإمبراطور يوحنا الخامس في عام ١٣٦٨ م للأسر لدى البلغار، وذلك أثناء اجتيازه للحدود المجرية مع البلغار وذلك بعد عودته من مدينة بودا المجرية التي فشل في إقامة اتحاد معها ضد الأتراك. وذلك بسبب إصرار ملكها على أسبقية التعميد الثاني ليوحنا. ويرجع السبب في أسر البغار له لاعتقادهم توقيعه اتفاقاً مع أعدائهم المجريين الذين كانوا قد نجحوا في غزو مدينة فيدين البلغارية وأسر حاكمها ١٣٦٥ م. مزيد من التفاصيل انظر ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليوجوس (١٣٥٤ – ١٣٧٦ م) بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري. يصدرها قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة (العدد ٢٨) ٢٠٠٥ م، ص ٣١٩ –

John Alexender Stracimir (١٣٣١ – ١٣٧١ م) الذي كان والداً لزوجته (حماه) آنذاك [١]. وذلك بالتماس المحافظة منه على أواصر الزواج القائمة بينهما، وذلك بالعفو عن والده وفك أسره أولاً ثم يضع تقريراً منه بين يد والد زوجته يوضح من خلاله براءة والده من تهمة الاتفاق مع أعدائهم المجريين، وأنه لم يذهب إليهم إلا لالتماس المساعدة منهم ضد الأتراك، إلا أنه لم يقم بأي شيء من ذلك، حتى نجح أماديو دي سافوي Amado de Savoy ابن عم الإمبراطور يوحنا في تحريره ١٣٦٩م [٢].

تعدى اندرونيقوس التقصير حيال إنقاذ أبيه من أسره على الحدود البلغارية إلى الاستئثار بالسلطة منتهزاً في ذلك فرصة تغيب والده الطويل خارج البلاد، ظهر ذلك من خلال رفضه الاستجابة لتوسلات أبيه الداعية لبيع جزء من الممتلكات الكنسية لسداد دينه مع البنادقة وذلك بحجة أن هذه الممتلكات تعد وقفاً لله لا يحق لأحد المساس بها [٣]. مستغلاً في تعضيد رأيه هذا معارضة رجال الدين الذين كانوا قد عقدوا مجمعاً كنسياً داخل القسطنطينية ١٣٧٠ م انتهوا فيه إلى حظر التنازل عن أموال الكنيسة لأي شخص حتى وإن كان الإمبراطور نفسه [٤]. ويرجع باركر Barker معارضة رجال الدين تلك إلى ريبتهم من نوايا الإمبراطور في التحول إلى المذهب الكاثوليكي [٥].

وأياً كان الأمر فلم يكتف أندرونيقوس بالتخلي عن مساعدة أبيه في إنهاء سداد دينه مع البنادقة، بل أنه رفض أمر أبيه بتسليم جزيرة تينيدوس [٦] Tenedos إليهم معارضاً بذلك الصفقة التي وقفها الإمبراطور يوحنا معهم، والتي توصل من خلالها إلى إقناع البنادقة بالتنازل عن الدين الذي استدانته الإمبراطورية منذ عام ١٣٤٣ م وقيمته ثلاثون ألف دوكا، والفائدة المركبة عليه،

.٣٢٠

(١) كان يوحنا الخامس قد أتم خطبة ابنه الأكبر اندرونيقوس الذي لم يكن قد بلغ السابعة من عمره إلى ماريا (kyratza) Maria ابنة يوحنا الكسندر أسان في الخامس عشر من عام ١٣٥٥ م، وذلك لتعزيز العلاقات البيزنطية البلغارية انظر إلى

Halecki, (Oskar) un Empereur de Byzance à Roma, Variorum, Reprints, London 1972, P 51.

(2) Nicol, The Last Centuries of Byzantium, P 276

ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي، ص ٣٢٠.

(3) Hammer, Histoire de l'empire Ottoman, Tome Premier. Paris 1835, P 254, Charanis, The Strife Among The palaeologi and the Ottoman. Turks, 1370 – 1402, Byzantion, 16 (1942 – 43) – P 287 – 291, Ostrogosky, History of the Byzantine State, P. 481.

(4) Halecki, Ibid, 230.

(5) Barker, Manuel II, P 6.

ومزيداً من التفاصيل عن تحول الإمبراطور إلى الكاثوليكية انظر، ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي، ص٣٢٢ - ٣٢٤

(٦) تعد جزيرة تينيدوس إحدى جزر بحر الأرخبيل القليلة التي احتفظت بها الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس. وقد اكتسبت بفضل موقعها عند مضيق أبيدوس Abydos أهمية كبيرة للمدن التجارية التي كانت بها علاقات مباشرة بالقسطنطينية والبحر الأسود. إذ مثلت لهم قاعدة مناسبة ترسو عندها الأساطيل الحربية. وملجأ تأوي إليه السفن التجارية المتجه إلى أعالي البحار هرباً من تعقب ومطاردة الأتراك العثمانيين. انظر هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي. الجزء الثاني. ترجمة أحمد رضا محمد رضا، مراجعة عز الدين فودة، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٧٣ – ١٨١.

وإعادة جواهر التاج الإمبراطوري المرهونة لديهم في خزانة سان مارك بالبندقية [١]. هذا عدا المبلغ النقدي الذي أقرت البندقية بتقديمه للإمبراطور وقيمته خمسة وعشرون ألف دوكا بالإضافة إلى ست سفن حربية، وذلك مقابل التنازل لهم عن جزيرة تيندوس Tenedos وتذييلاً لتلك الصفقة أقرت البندقية بأن تمنح الإمبراطور مبلغاً مقدماً بقيمة ٤٠٠٠ دوكا عن قيمة شراء الجزيرة[٢].

وفي ضوء التنازلات التي احتوتها تلك الصفقة يبدو أن الإمبراطور يوحنا الخامس قد رأى من وراء إتمامها أنه سينجح في ضرب عصفورين بحجر واحد أولهما أنه سيجعل البنادقة في مواجهة مباشرة مع الأتراك العثمانيين ثمناً لتوسع مستعمراتهم على حساب دولته. وثانيهما سيتخلص من ديونه معهم وسيعيد مجوهرات التاج الإمبراطوري، ويصبح لديه فائضاً في جيبه قيمته خمسة وعشرون ألف دوكا، في حين يرى المؤرخون أنها لا تعد دليلاً على كرم أغدقته البندقية على الإمبراطور يوحنا الخامس الذي كان رهن أيديها آنذاك، بقدر ما تعكس ضغطاً مارسته عليه لتعجيزه عن دفع الدين، خاصة وقد أصرت على مطالبته بسداد الدين مضافاً إليه الفائدة المركبة عن السنوات الممتدة منذ عام ١٣٤٣ وحتى عام ١٣٦٨ م ما يعني مطالبة الإمبراطورية بدفع خمس وستون وخمسمائة ألف دوكا مقابل إسقاط الدين على حد قول نيقول Nicol [٣] في حين كان قد ارتضى الإمبراطور دفع القيمة عن السنوات الممتدة من ١٣٤٣ وحتى عام ١٣٤٧ م فقط[٤]. فقط[٤]. وعلى ما يبدو أن تلك المفاوضات وصلت بينهما إلى طريق مسدود وذلك لإصرار البندقية على مطالبها من ناحية، ومماطلة الإمبراطور يوحنا لعجزه على الدفع من ناحية أخرى. وظل ذلك إلى أن تم طرح صفقة المقايضة على الجزيرة بإسقاط الدين الأصلي ودفع مبلغ قيمته خمس وعشرون ألف دوكا ليصل ثمنها إلى الخمس وخمسون ألف دوكا [٥]. على أية حال ففي ضوء رفض أندرونيقوس الرابع تسليم الجزيرة للبنادقة ظلت الصفقة حبراً على ورق ما جعل البندقية تهدد على أثر ذلك بعرض مجوهرات التاج الإمبراطوري للبيع في مزاد علني للوفاء بسداد الدين

---

(1) Halecki, Un Empereur, P 229 – 230.

منحت البندقية الإمبراطورية البيزنطية قرضاً قيمته ثلاثون ألف دوكا في عام ١٣٤٣ م اتبعته بقرض آخر في عام ١٣٥٢ قيمته خمسمائة دوكا. ونظراً لأنها أخذت بعين الاعتبار حالة الإمبراطورية الراهنة آنذاك لم تتعجل في مطالبتها بسداده، واكتفت بأخذ مجوهرات التاج الإمبراطوري ضماناً لحقها. ومن جهة أخرى منحت الإمبراطورية تسهيلات في الدفع عن تعويض الجمهورية عن الأضرار التي ألمت بها خلال الأعوام السابقة. والتي كانت قد بلغت حتى عام ١٣٦٨ إلى مبلغ بقيمة ٢٥.٦٦٣ هيبيربيرة. لم تتسلم منه الجمهورية سوى ٤٥٠٠ هيبيربيرة فقط انظر لمزيد من التوضيح Halecki, Un Empereur, PP 225 – 226

(2) Halercki, Un Empereur de Byzance, PP 229 – 230, Charanis (Peter), An additional note to the article strife among the Palaeologi and the Ottoman Turks 1370 – 1402. in Byzantion, Volume XVII 1944 – 1945, The Mediaeval academy of America 1945. P 333, Brehier (Louis), Vie et Mort de Byzance, Paris 1947, P. 455.

(3) Nicol (Donald M.). Byzantium and Venice A study in Diplomatic Cultural Relation Cambridge University Press P 1307.

(٤) تلك الفترة التي حكم فيها يوحنا الخامس الإمبراطورية بمشاركة وزير أبيه يوحنا كانتاكوزينوس

انظر أسد رستم، الروم في سياساتهم ، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب، الجزء الثاني، بيروت – لبنان، ١٩٥٥، ص ٢٣٦.

(5) Halecki, Un Empereur de Byzanece, 225, Charanis, An additional note to article. The strife P 333.

وفوائده، هذا عدا دعوة تقيمها ضد الإمبراطورية لاستخلاص حقها [١]. وعلى ما يبدو أن ذلك سبب حرجاً كبيراً للإمبراطور يوحنا الذي كان مازال مرهوناً داخل البندقية ولم ينقذه من حرجه سوى ابنه مانويل الذي استجاب لتوسلات أبيه بالرحيل عن سالونيك Thessalonica ليقدم نفسه رهينة للبندقية بدلاً عن أبيه ويذكر هالسكي Halecki وكارانيس Charanis تأكيداً لذلك أن مانويل ظل ماكثاً داخل إيطاليا وأنه لم يعد إلى سالونيك إلا في شتاء ١٣٧١ – ١٣٧٢ م [٢] بينما عاد أبيه إلى القسطنطينية في مارس ١٣٧١ ما يدل على أن البندقية تحفظت عليه فترة من الوقت. ونتيجة لتلك التضحية سمحت البندقية ليوحنا بالرحيل وقد منحته مقدما عن شراء الجزيرة قيمته أربعة آلاف دوكا وزودته بالمواد الغذائية لأطقم سفنه الحربية. بينما منحت مانويل الثاني هدية قدرت بثلاثمائة دوكا [٣].

لم يتخذ الإمبراطور يوحنا الخامس إثر عودته إلى القسطنطينية قراراً مباشراً يقضي بمعاقبة ابنه الأكبر أو تعنيفه على الأقل لمخالفته أمره الداعي إلى تسليم جزيرة تنيدوس للبنادقة، وإنما أصدر قراراً بإلقاء القبض على النبلاء الخمس الذين ساندوا ابنه أندرونيقوس والتفوا حوله في قرار رفضه تسليم الجزيرة للبنادقة [٤]. أعقبه بقرار آخر يقضي بتعيين ابنه مانويل الثاني حاكماً على سالونيك [٥]. إضافة إلى منحه الأراضي التي كان قد استعادها هذا الابن بالقرب من سيريس Seres Seres في مقدونيا في نوفمبر عام ١٣٧١م[٦].

وإن كانت تلك المنحة بمثابة مكافأة من الإمبراطور يوحنا لابنه نظير موقفه الداعم له في إنهاء قضية الدين البندقي، فإنها في نفس الوقت تعد مقدمة يكشف بها الإمبراطور عن نيته في إحداث تغير جذري على نظام خلافة العرش.

على أية حال قدت تلك التغيرات مضجع أندرونيقوس، وجعلته يتحين الفرص للإطاحة بأبيه للانفراد دونه بالعرش، إلى أن واتته الفرصة بخروج أبيه على رأس جيشه بصحبة ابنه مانويل لمساندة مراد الأول Murad 1 (١٣٦٠ – ١٣٨٩ م) السلطان العثماني في آسيا الصغرى وذلك تطبيقاً لأحد بنود الاتفاق الذي وقعه أبيه مؤخراً معهم عام ١٣٧٠ م، وأقر بمقتضاه بتبعيته للسلطان العثماني، وقبوله تقديم الخدمة العسكرية إليه وقتما يريد [٧]

---

(1) Nicol, The last centuries, P 287.
(2) Halecki, Un Empereur de Byzanece, P 230, Charanis, An additional note to the article. strife P 333.
(3) Halecki, Ibid, P 229, Barker, Manuel II, P 14.
(4) Charanis, An important Short Chronicle of the fourteenth Century, Byzantion 1983. P 340 Barker, Manuel II, PP 14
(5) Charanis, The Strife Among the palaeolog 1, P 293
(6) Hammer, Historie de l'empire Ottoman, Tome 1, P 169 – 170.

كان مانويل قد استثمر انهيار السلطة الصربية داخل مقدونيا أثر هزيمتها أمام الأتراك العثمانيين في معركة ماريتزا أو نهر ماريكا عند تشيرنومين في توجيه حملة إلى ضواحي مقدونيا، استطاع من خلالها تحقيق سيطرة محدودة على الأراضي الديرية القريبة من سيريس انظر Ostrogrosky, History of the Byzantine State, New York 1965, PP 481 – 482, Barker, Manuel II, P 14.

(٧) تعضيداً لهذا الاتفاق أرسل الإمبراطور يوحنا بمجرد وصوله إلى القسطنطينية عائداً من الغرب ١٣٧١ م – ابنه تيودور Theodore إلى آسيا الصغرى ليعمل في صفوف الجيش العثماني، وليكون رهينة لدى السلطان مراد الأول انظر

Hammer, Histoire, T1, P 294, Ostrogosky, History of the Byzantine State Oxfort, 19, P482, Gibbons, the foundation of the Ottoman empire. New York 1916, P 149.

واتفق أندرونيقوس مع مسعودجي Saudji أو كوندوز Koundoz الابن الأكبر للسلطان مراد الأول ونائبه في حكم الولايات العثمانية في تراقيا Thrace [١] علاوة على أنه يماثله في طموحه وكراهيته لوالده لمفاضلته أخوته الصغار عليه على حد قول هامر Hammer [٢]- وذلك بتوحيد جهودهما في الاستيلاء على عرش والديهما بأن يمد أندرونيقوس الأمير العثماني مسعودجي بقوة عسكرية من البيزنطيين تقوم بمساندة قواته العثمانية في الاستيلاء على مدينة ديديموطيق Didymoticus، حتى إذا ما أصبح حاكماً مستقلاً عليها ساند أندرونيقوس في ثورته ضد أبيه[٣].

وضماناً لنجاح تلك الثورة قرر أندرونيقوس مباشرتها عن قرب فخرج على رأس قواته لينضم إلى القوات العثمانية المرابطة في مارتزا Maritiza القريبة من ديديموطيق [٤]. لكن سرعان ما علم مراد الأول بأمر تلك الثورة وحاك خيوطها، فأرسل ليوحنا الخامس الإمبراطور البيزنطي الذي كان مازال مصاحباً لحملته ورهن يديه داخل آسيا الصغرى، وأحاطه علماً بتورط ابنه في المؤامرة وأنه لا يستبعد أن يكون هو أي يوحنا الخامس من مدبريها، وأن مصاحبته له جاءت ليدخر حجة يؤمن بها لنفسه إذا ما تم كشفها[٥]، وهذا يعد تناقضاً فيما يذكره مؤرخو القرن الرابع عشر على حد قول ليونرتيز Leonertz، وذلك على أساس أن المؤامرة كانت ضد الحاكمين معاً [٦].

لكن يوحنا الخامس تبرأ من هذا الاتهام،بعهد قطعه على نفسه أن يرتضي بحكم السلطان مراد الأول على ابنه إذا ما ثبت تورطه في تلك المؤامرة، ويبدو أن هذا العهد جعل السلطان مراد يسمح للإمبراطور البيزنطي بالعودة إلى بلاده في حين انطلق السلطان وحده إلى مدينة ديديموطيق [٧]، حيث ألقى عليها حصاراً محكماً فترة من الوقت، نفدت فيه المواد الغذائية، وعانى المحاصرون المحاصرون بداخلها مشقة المجاعة. وأحكم مراد الأول قبضته على الثائرين الموالين لابنه عندما وجه إليهم خطاباً أمام أسوار مدينة ديديموطيق لامهم من خلاله على مساندتهم ابنه في ثورته ضده في حين كان يجب عليهم توجيه تلك المساندة ضد أعدائهم.

ثم أعلن العفو عنهم إذا ما عادوا إلى طاعته [٨]. ويبدو أن هذا الخطاب قد كان له أثره في تحول عدد كبير من القوات التركية الموالية لابنه إليه، حيث أعلنوا الاستسلام إليه بفتح أبواب المدينة. وما أن أطبق السلطان مراد الأول بيده عليها حتى أصدر حكماً بالإعدام على الثائرين جميعاً وتلي ذلك أن نفذ حكماً بسمل عين مسعودجي [٩].

أما عن أندرونيقوس فبعد أن منى بهزيمة فادحة بالقرب من مدينة ديركوس Derkos على

---

(1) Doukas, The Decline and Full of the Byzantium P 80.

(2) Hammer, Histoire, Tome 1, 255.

صلاح محمد ضبيع محمد، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عصر آل باليولوجوس ١٢٦١ – ١٤٥٣ م. رسالة دكتوراة غير منشورة ١٩٩٨ م، ص ١٤١.

(3) Ibid, Histoire, Tome 1, 255.Le beau, Histoire de Bas- empire, T XX, PP 448.
(4) Hammer, Histoire Tome 1, P 255, Le beau, Histoire du bas empire, Tome XX, P 445.
(5) Doukas, The decline, P 80.
(6) Leonertz, La premiere in surrection d'Andronic IV Paleologue 1373, Echos d'orient, d'orient, Tome XXXVIII Bucarest 1939, P 338.
(7) Doukas, The decline, P 80.
(8) Hammer, Histoire de l'empire, T1, PP 255 – 256, Lebeau, Histoire du Bas- empire, TXX, P 448.
(9) Doukas, the decline, P 80, Hammer, Ibid, P 255 – 256.
Leonertez, La Premiere Insurrection d'Andronic IV, P 336 – 337.

بعد أربعين كيلو متراً من ضواحي العاصمة – فقد على أثرها أكثر من ألف وسبعمائة جندي وأسير أرتد عائداً إلى القسطنطينية، وسلم نفسه لأبيه دون أدنى مقاومة لينفذ فيه حكماً بإعماء جزء له ولولده يوحنا السابع Jean VII حيث عانى أندرونيقوس الرابع من حجب عن الرؤية في عين واحدة، بينما عانى ولده الصغير من حول واضح [١]. ويعلق باركر بناء على ذلك بأن عملية الإعماء (سمل العينين) لم تكن تامة حيث أن أندرونيقوس عاد إليه بصره وشفي إلى حد ما[٢]. على أية حال لم يلجأ يوحنا إلى تنفيذ هذا العقاب إلا بعد مراسلة السلطان مراد الأول له ثان يحذو حذوه تجاه ابنه [٣]. ما يؤكد أن قرار التنفيذ جاء بضغط تركي، وليس قناعة منه. ومهما يكن من أمر فقد اتبع الإمبراطور يوحنا هذا العقاب احتجاز لابنه وعائلته في أحد أبراج القسطنطينية المعروف بأنيماس Anemas. وبناء على ذلك أصدر قراراً جديداً يقضي بحرمان ابنه الأكبر من ولاية العرش وإسنادها إلى أخيه الأصغر مانويل الثاني [٤] على الرغم من إجماع المؤرخين على تلك الرواية التاريخية الخاصة بتلك المؤامرة، إلا أنها تبدو في نظر المؤرخين المحدثين وعلى رأسهم ليونيرتز Leonertz تفتقر إلى الدقة وعدم الصدق[٥]، وذلك على أساس

أولاً: أن قواعد اللعبة كانت تقتضي من أندرونيقوس أن يستغل وجوده منفرداً على العرش وقت تغيب والده مصطحباً للأمير التركي في آسيا ليستأثر بالسلطة لا أن يلجأ إلى التآمر مع الأمير العثماني من خلال ثورة لا يضمن عواقبها.

ثانياً: رفض المنطق لتجاوز يوحنا الخامس لأوامر السلطان مراد الأول بإحداث إعماء ليوحنا السابع ابن اندرونيقوس الرابع دون مبرر مقنع [٦].

وهكذا لم يرق عصيان أندرونيقوس أن يكون ثورة بقدر ما يعد تمرداً لم يكتمل. شجعت عليه تلك الأوضاع التي سادت القسطنطينية وما آلت إليه من نهاية مأساوية لاندرونيقوس الرابع المدن الإيطاليا وعلى رأسها جنوة جالاتا Genoese of Galata أن تستثمر تلك الأوضاع لتحقيق مطامعها في السيطرة على جزيرة تنيدوس. فعملت على أن تلجأ إلى مساومة أندرونيقوس داخل محبسه، بأن تعرض عليه تحريره، ومساندته في التخطيط معه للثورة ضد أبيه وأخيه للاستيلاء على العرش، مقابل التنازل لها عن جزيرة تنيدوس [٧]. ويبدو أن جنوة جالاتا قد لجأت إلى هذا العرض بعد أن تيقنت أن الاتفاق القائم بين الإمبراطور يوحنا والبنادقة بالتنازل لهم عن الجزيرة كان مازال طور الإعداد. على أية حال كان هذا العرض بمثابة طوق نجاة لأندرونيقوس فعلى أثره أخرج من محبسه، ونقل سريعاً إلى مدينة جالاتا الساحلية. ولم تكتف جنوة بذلك، بل ساعدته في

---

(1) Leonertz, La Premiere Insurrection, P 344, Barker, Manuel II, P 21.

(2) Barker, The decline, P 24.

(3) Doukas, the decline, P 80, Hammer, Histoire de l'empire Ottoman, T1, P 255.

كانت عملية سمل العين وهي عملية بربرية حرصت الدولة البيزنطية على تنفيذها في الشخص المذنب، وذلك بسكب الخل المغلي على عينيه انظر

Lebeau, Histoire du Bas- empire, TXX, P 448.

(4) Hammer, Histoire de l'empire, TXX, P 255. Charanis, Palaeologie and Ottoman Turks, P 293, Ostrogrosky, The History of the Byzantine state, P 482.

(5) Leonertz, La Premiere Insurrection, P 338.

(6) Leonertz, La Premiere, P 335.

(7) Doukas, The Decline and Full of the Byzantium P 80, Lebeau, Histoire du Bas-empire, Tome XX, P 450. Gibbons, The foundation of the Ottoman Empire, Oxford 1916, P 153.

تكوين حزب من الموالين له داخل القسطنطينية، حتى إذا ما أطبق أندرونيقوس على القسطنطينية مهد له الطريق هناك[١]، وأخيراً أشارت عليه بفكرة تحسين العلاقات مع الأتراك العثمانيين. والاتفاق معهم ليضمن لنفسه جيشاً كبيراً لمساندته عند اقتحامه للقسطنطينية. والحقيقة لم يكن في مقدور أندرونيقوس الرابع آنذاك أن يتذكر ما ألحقه مراد الأول به من أذى أضر عينيه ليغض الطرف عن فكرة الحصول على الدعم التركي الذي كان في أمس الحاجة إليه ليقتحم به القسطنطينية، ويستعيد ما سلب منه من حق في ولاية العرش، ومن ثم سارع بالاتفاق مع السلطان مراد الأول وأقر له بالتبعية [٢].

أما من ناحية السلطان فيبدو أنه وجد في تدعيمه لتلك الثورة فرصة يربح في المقابل منها التنازل له عن مدينة غاليبولي Callipolis ليصل بها ما قطع بين ممتلكاته المتناثرة بين كل من تراقيا Thrace ومقدونيا Macedonia وبناء على ذلك أمده بقوة قوامها ١٠٠٠ جندي ونصحة بقتل أبيه وأخويه في حالة نجاح ثورته[٣].

ومهما يكن من أمر فقد استطاع أندرونيقوس بفضل المد التركي أن يفتح القسطنطينية وينفذ إلى القصر الإمبراطوري ليعتقل أبيه وأخويه مانويل الثاني وتيودور Theodore ويودعهم جميعاً سجن أنيماس وهو نفس المحبس الذي ظل به أكثر من عامين [٤]. وبات على أندرونيقوس بعد نجاح نجاح ثورته، واعتلاء عرش الدولة البيزنطية أن يبدأ في سداد تكاليفها لمن قدموا له المساعدة. فأما عن جنوة فقد أصدر قرار إرضائها عام ١٣٧٦ م وذلك بحظره نقل ملكية جزيرة تنيدوس للبندقية معارضاً بذلك الاتفاق الذي وقعه أبيه مؤخراً معهم في عام ١٣٧١.

ولم يكتف بذلك بل أطبق بيده على المعارضين الذين عارضوا هذا القرار، وأودعهم في معتقل داخل القسطنطينية [٥]. ولا شك أن هذا القرار أقلق البنادقة، وجعلهم يحاولون الخلاص منه، وذلك بالعمل على إخراج أبيه من محبسه ومساندته لاستعادة عرشه من جديد، ومن أجل ذلك أوفدوا حملة قوامها ثمانمائة جندي بقيادة كارلوزينو Calro Zeno الذي استفاد من علاقاته المتشعبة داخل المجتمع البيزنطي ليتصل بيوحنا الخامس في محبسه، ويعرض عليه تحريره، لكنه أمتنع خشية على أولاده مانويل الثاني Manuel II وثيودور المحبوسان أن يتركا خلفه [٦] والحقيقة وأن كانت تلك الحملة فشلت في تحرير الإمبراطور السابق يوحنا الخامس فإنها من ناحية أخرى نجحت في توحيد الصف بالتحالف مع كيدونيس Keydonis حاكم جزيرة تنيدوس الذي كان معارضاً لسياسة أندرونيقوس ضد أبيه.

ونتيجة لتلك الخطوة تمكنت البندقية من الاستيلاء على الجزيرة في يسر، وانتهت بتحصينها تحصيناً منيعاً. ولم تكتف البندقية بذلك بل أعقبته بهجوم مفاجئ على القسطنطينية يوليو ١٣٧٧ م كبدتها من خلاله خسائر فادحة [٧].

---

(1) Nicol, Byzantium and Venice, P 312.

(2) Doukas, the decline, P 80, Demetrius Cantemir, The History of the Growth and Decay of the Othman Empire, Translation to English by Tindal London 1735, P 41, Le beau, Histoire du Bas- empire, TXX, P 450.

(3) Nicol, The last centuries, P 289. Gibbons, The foundation, P 153.

(4) Doukas, the decline, P 80. Gibbons, The foundation, P 153.

(5) Nicol, The last Centuries, PP 289 – 290.

(٦) يعد كارلو زينو أحد القادة البنادقة المغامرين الذي ترجع أصوله إلى أحد الأسر البندقية العريقة التي تنتسب إلى إلى الإمبراطور زينون.

Lebeau, Histoire du Bas- Empire, TXX, PP 452 – 453.

(7) Nicol, The last Centuries, P 290.

وهكذا لم تستطع جنوة أن تصبو إلى ما كانت ترنو إليه من وراء مساندتها لثورة أندرونيقوس ضد أبيه أو أن تنال جزيرة تنيدوس، ومن ثم بات عليها أن تسعى من جديد للسيطرة عليها، فخططت لغلق مداخلها، وأعدت لذلك أسطولاً مكوناً من اثنين وعشرين سفينة حربية، جمعوا على متنه عدد كبير من جنودهم، وأرغموا الإمبراطور أندرونيقوس الرابع على قيادته، وذلك بعد أن نجحوا في إقناعه بأن اقتحام البنادقة للجزيرة وسيطرتهم عليها علاوة على أنه يمثل عدواناً مباشراً على حق أهاليها اليونانيين، فهو إهانة شخصية له، وإنه إن لم يسرع في الرد عليهم فسوف يكون تاجه عرضة للضياع [١].

وبناء على ذلك أسرع أندرونيقوس بالتوجه نحو الجزيرة في نوفمبر ١٣٧٧ محاولاً غلق مداخلها، لكنه فشل، ومنى بهزيمة ساحقة قضت على معظم قواته، حيث لم يتبق له منهم سوى قلة قليلة عاد بها إلى القسطنطينية [٢].

وهكذا تورط الإمبراطور أندرونيقوس الرابع في الصراع الدائر بين جنوة والبندقية على جزيرة تنيدوس، ولم يجن منه سوى خسائر فادحة تكبدتها الدولة البيزنطية. أما عن الأتراك العثمانيين، فنظراً لمساندتهم، لم يتردد أندرونيقوس أن يتوجه إليهم شخصياً ليلتقي بالسلطان مراد الأول، ويرتب معه أمر التنازل عن مدينة غاليبولي، علاوة على موافقته بدفع جزية سنوية نظير مغادرة الأتراك العثمانيين لأسوار القسطنطينية [٣]. هكذا أصبحت تلك المدينة تحت الحكم التركي من جديد جديد ١٣٧٧ م، وذلك بعد أن ظلت حوالي عشر سنوات تحت الحكم البيزنطي منذ أن أعادها أماديودي سافوي Amaduo de Savoy لأحضان الدولة البيزنطية منذ عام ١٣٦٧م [٤]. ولا شك أن استعادة الأتراك العثمانيين لتلك المدينة قد شجعهم أن يعبروا إلى تراقيا ويعلنوا ملكيتهم لمدينة أدريانوبل "أدرنة" Adryainople التي أصبحت أول عاصمة أوروبية للأتراك العثمانيين.

---

(1) Le beau, Histoire du Bas- empire, TXX, PP 457.

(2) Ibid, P 458 – 459, Nicol, Byzantium and Venice, P 312.

(3) Demetrius Cantemir, The History of the Growth and Decay of the Othman Empire, Empire, P 35, Nicol, The last centuries, P 290. Ostrogorosky, History of the Byzantine state, P 480.

(٤) كان العثمانيون قد نجحوا في عام ١٣٥٤ في الاستيلاء على مدينة غاليولي Callipolis التي كانت تتحكم في المرور في الدردنيل من الجانب الأسيوي إلى الجانب الأوروبي وظلت بأيديهم حتى أعيدت إلى الدولة البيزنطية عام ١٩٦٧. انظر: ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي، ص ٣١٢.

وفي ضوء ما سبق نستخلص من البحث:

- أن أندرونيقوس الرابع قاد حركتين من العصيان ضد أبيه لم يرق الأول منهم أن يكون ثورة بقدر ما كان تمرداً غير مكتمل، وانتهى بحرمانه مشاركة أبيه في خلافة العرش بينما يعد الثاني ثورة مكتملة الأركان، انتهت بتوليه العرش وحرمانه لأبيه وأخيه من تقلده.
- إن كانت ثورة أندرونيقوس قد مكنته من استعادة حقه في العرش البيزنطي فإنها من ناحية أخرى قد ورطته في الصراع الدائر بين جنوة والبندقية وأجبرته في نهاية الأمر إلى فقد جزيرة تنيدوس المتصارع عليها المتنافسين، وكبدت القسطنطينية خسائر فادحة، ومن ناحية أخرى عجلت هذه الثورة بضياع مدينة غاليبولي نهائياً لصالح الأتراك.

المصادر و المراجع

أولاً: المصادر:

- Demetrius Cantemir, The History of the Growth and Decay of the Othman Empire, Translation from Latin to English by Tindal London 1735.
- Doukas, Decline and Full of Byzantium to Ottoman Turks – Byzantina, An notated Translation of Historia Turco – Byzantina by Harry J Mongoulias Wayne State University Detroit 1975.

ثانياً: المراجع

- Barker (John W.), Manuel 11 Palaeologus 1391 – 1425: A stady in Late Byzantine States Man Ship, Rutgers University Press 1964.
- Brehier (Louis), Vie et Mort de Byzance, Paris 1947.
- Charanis (Peter), An additional note to the article strife among the Palaeologi and the Ottoman Turks 1370 – 1402. in Byzantion, Volume XVII 1944 – 1945, The Mediaeval academy of America 1945.
- Charanis, An Important Short Chronicle of the fourteenth Century, Byzantion 1983.
- Charanis, The Strife Among The palaeologi and the Ottoman. Turks, 1370 – 1402, Byzantion, 16 (1942 – 43).
- Gibbons, the foundation of the Ottoman empire. New York 1916.
- Halecki, (Oskar) un Empereur de Byzance à Roma, Variorum, Reprints, London 1972.
- Hammer, Histoire de l'empire Ottoman, Tome Premier. Paris 1835.
- Lebeau, Histoire du Bas- empire, Tome TXX, Paris 1885.
- Leonertz, La premiere in surrection d'Andronic IV Paleologue 1373, Echos d'orient, Tome XXXVIII, Bucarest 1939.
- Nicol (Donald M.). Byzantium and Venice A study in Diplomatic Cultural Relation Cambridge University Press.
- Nicol, The Last Centuries of Byzantium 1961 – 1453, London 1975.
- Ostrogrosky, History of the Byzantine State, New York 1965.

- أسد رستم، الروم في سياساتهم ، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب، الجزء الثاني، بيروت – لبنان، ١٩٥٥، ص ٢٣٦.
- صلاح محمد ضبيع محمد، العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عصر آل باليولوجوس ١٢٦١ – ١٤٥٣ م. رسالة دكتوراة غير منشورة ١٩٩٨ م، ص ١٤١.
- ناهد عمر صالح، الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليوجوس (١٣٥٤ – ١٣٧٦ م) بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري. يصدرها قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة (العدد ٢٨) ٢٠٠٥ م، ص ٣١٩ – ٣٢٠.
- هايد تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي. ترجمة أحمد رضا محمد رضا. مراجعة عز الدين فودة. القاهرة ١٩٩٤ م، ص ١١٥ – ١١٦.